

المجلات الادبية والاتحاد السوفياتي

اجتمعنا في فترة مفعمة بالاحداث على الارض اللبنانية الكريمة التي تثيرها تقاليد الضيافة العظيمة وصلات الصداقة بين الشعوب . لكم كان بودنا ان نجتمع ، نحن الكتاب والشعراء ، للنظر في اجمل واعظم قضية يمكن تصورها : كيف نسعد كل انسان على كرتنا الارضية ، كيف نغمره باجمل الكلمات ، واصفى الافكار واعمقها ، كيف نملا قلبه بالطيبة؟ لا شك ان يوم هذا اللقاء آت لا لنا نصيا ونعمل بالذات ، للافتراپ منه ، نعمل من اجل عالم خلا من البؤس والحروب تعيش فيه الانسانية متحدة لا منقسمة . نحن نسير نحو هذا المثل الاعلى ، ولقد كان في كل زمان ، وعند كل الشعوب ، لكن الطريق الذي يجب ان نقطسه طريق صعب دام . لقد احرزت الانسانية التقدمية انتصارات كثيرة في كفاحها ضد قوى الشر . في مؤتمرنا الخامس في الما آتا ، هينا اخواننا الفيتناميين تهنة حسارة على انتصارهم . واليوم نحني المناضلين الابطال ضد المستعمرين البرتغاليين : كتاب انجولا ، وموزمبيق ، وغينيا بيساو الذين احرزوا انتصارا باهرا في سبيل الاستقلال . لقد كنا معهم ايام المحن ، ولسوف تكون معهم ساعة النصر ، لسوف تكون معا ، دائما !

لقد اجتمعنا اليوم على الارض العربية التي عرفت كثيرا من الوان الالام والعتاب . لقد احرزت الشعوب العربية عديدا من الانتصارات الباهرة في كفاحها العادل ضد الامبريالية والاستعمار والصهيونية . لكن المعركة التي تخوضها لكي يسترد الفلسطينيين حقوقهم في بناء دولتهم وتقرير مصيرهم لم تنته بعد . ولم يعد بعد الى وطنهم الشعراء والكتاب الفلسطينيين الذين يشعلون النار بكتاباتهم في قلوب جنود الحرية . والمسكر الاسرائيلون لا يهدأون ، وصوت المدفعية يدوي ، والدم ما زال يسيل .

لم تصف بعد آثار العنف المشينة ، والمفارقات التاريخية ، والانظمة المنصرية في روديسيا وجنوب افريقيا ، تلك البلاد التي لم تسترد اسمها الحقيقي بعد .

وحتى اليوم لم تذق طعم السلام شعوب الهند الصينية التي قاومت العدوان الامبريالي مقاومة صلبة لم يسبق لها مثل . نحن موفنون ان معركة الحرية ستستمر حتى انتصار العدل والخير نهائيا . متأكدون من اننا سنستطيع ان نلتقي في بلدان مسالمة ، حرة ، مزدهرة ، ونهنيء اخواننا بانتصاراتهم الجديدة ، ولسوف تكون انتصاراتنا جميعا ، كما كانت ابدا .

نحن الكتاب السوفييت فخورون بوطننا ، اول بلاد الاشتراكية المنتصرة ، اول بلاد تطبق برنامجا للسلام اصبح ، بالنسبة للانسانية ، الامل الحقيقي في التخلص من الخطر الذي ذات يوم . نحن فخورون بوطننا الذي شغل دائما - وما زال يشغل - موقعا طليعا في مجال الكفاح من اجل السلام والعدل ، وطننا المستعد دائما لمساعدة الشعوب التي تكافح من اجل حل عادل للصراعات الدولية . « لا وجود لمصيبة

الخير ، كما يقول مثل سائر نطقه . نحن نعرف ان قوى الرجعية ، والصف لا تنوي الفاء السلاح قط ، وتواصل كل من الامبريالية ، والصهيونية كما يواصل الاستعمار الجديد تهديدهم للسلام على الارض ، وارثابهم للجرائم الدامية ، وشنهم حربا اقتصادية وايدولوجية على الشعوب المحبة للسلام . ان ماساة شيلي ، وارافة الدماء في قبرص ، وآلام ايرلندا ، واضطهاد الوطنيين في كوريا الجنوبية ، والسحب المظلمة التي تتجمع على الاجنتين ، كل هذا نداء لقلوبنا ، نداء للسلاح . وسلاحنا الكلمة المشحونة والاتحاد اتحاد الكتاب الافريقيين الآسيويين والكتاب التقدميين في العالم اجمع ضمان لانتصاراتنا .

يا اصدقائنا الاعزاء ، يا اخواننا في السلاح ، اني ادعوكم الى دعم هذا الاتحاد ، والبحث عن نقط للاتصال ، ومناهج للتعاون ، واشكال جديدة لتبادل القيم الادبية والثقافية . فمن الاتحاد نستمد القوة اللازمة لحل المشكلة الهائلة التي يطرحها علينا التاريخ : تكوين المظهر الروحي للانسان الجديد في آسيا وافريقيا .

اني اعتبر مبادرة زملائنا اللبنانيين الذين اقترحوا تنظيم هذه اللقاء مبادرة ثمينة للغاية . والتأييد الجماعي الذي اولاه كل اعضاء المكتب الدائم لهذه المبادرة افضل دليل على ضرورته ومناسيته . ان المجلات الادبية اجهزة تسجل بدقة تحرك طبقات الارض العميقة ، لذا ، تعد اقامة الصلات بين من يشرون هذه المجلات وسيلة تمكن شعوب آسيا وافريقيا من فهم العمليات المعقدة التي تتم في نطاق الادب الانروآسيوي - في عصر التقدم السياسي والاجتماعي والتكنيكي - فهما افضل .

والمجلة الادبية واحدة من افضل الوسائل الفعالة لإيجاد الكتاب وخلق جو ادبي في البلاد . يجري على صفحات هذه المجلات جبل ادبي يسمح بتحديد لا المعايير الادبية والجمالية فحسب بل المعايير الاخلاقية والجمالية ايضا . وعلى صفحات هذه المجلات كذلك يظهر لأول مرة اسماء المؤلفين الشبان . والمجلات هي التي تثبت في الذهن او يجب ان تثبت فيه حب القراءة وتحليل ما تمت قراءته . لذا ، نولي اهمية كبرى لهذا اللقاء الاول لرؤساء تحرير المجلات الادبية الافروآسيوية . ونامل ان يصبح هذا اللقاء تقليدا في نشاط اتحادنا .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان اتحادنا يعطي مكانا يكثر دائما للقضايا الادبية والايولوجية والجبل الدائر حولها ، وذلك وفقا للتغيرات التي تطرأ على بلدان آسيا وافريقيا التي اكتسبت استقلالها السياسي وتضع في المقام الاول قضايا الاستقلال الاقتصادي والبناء الثقافي . وتغيير مركز الثقل منطقي ايضا لان الادب الافريقية الشابة والادب الآسيوية القديمة نمت نموا هائلا واكتسبت قوة كبرى في اقل من خمسة وعشرين عاما . فلقد ظهر كتاب محدثون ذاع صيتهم في العالم كله . ونمت انواع

ادبية جديدة ، ونمت وازدادت قوة العلاقة المتبادلة بين الاداب ، ومنظمات الكتاب . بل والكتاب انفسهم . ويمكن ان نقول ، دون ان نخشى الخطأ ان العمل الذي قام به اتحادنا وقمنا به جميعا ، خلال العشرين سنة الاخيرة ، اسهام في ذلك كله .

لقد ساهمت الدوريات الادبية السوفيتية في اثارة اهتمام جماهير القراء العريضة باداب آسيا وافريقيا ، وعرفتهم باعمال تلك الاداب . ولا نتحدث عن مجلات مثل « اينوسترانايا ليترانورا » التي تصدر بالروسية او « فزفيت » التي تصدر باللغة الالمانية ، وهدفهما الوحيد ترجمة وشيوع افضل اعمال الادب العالمي في الاتحاد السوفيتي ، او الباب الادبي في مجلة متخصصة مثل « آسيا وافريقيا اليوم » ، كل المجلات الادبية في بلادنا ، بلا استثناء ، تنشر الادب الافروآسيوي . ان النزعة الاممية ، لواء الادب السوفيتي ومبدأ سياسة الدولة السوفيتية ، تفترض احترام الاعمال الفنية التي تصوفها كل شعوب العالم ، صغيرة كانت ام كبيرة ، احتراما صادقا . واذا كان نشر الادب الافروآسيوي في بلادنا ظاهرة حديثة الى حد ما ، فمرجع ذلك ان القيم الثقافية في كثير من البلدان الافروآسيوية لم تكن في متناول يدينا قبل ان تكسب هذه البلدان استقلالها . ومن البديهي اننا نجتهد الان ان نسد هذه الثغرة وان نجعل الادب الافروآسيوي جزءا لا يتجزأ من ثقافتنا وتعليمنا .

واننا لنشعر بالفرح اذ نرى ان معرفة القارئ الافروآسيوي ومثقف بلان العالم الثالث لادبنا في ازدياد مطرد ، فهم يستطيعون بواسطتنا ، ان يكونوا فكرة عن الحياة الروحية للانسان وعالاه الداخلي في المجتمع الاشتراكي . ونأمل ان ينتهي هذا اللقاء الى نتائج مأموسة في هذا الصدد ، وسوف تتاح الفرصة للمجلات التي يشترك مثلها في هذا اللقاء والدوريات العديدة الاخرى امكانية ترجمة ونشر الاعمال الادبية الاجنبية والاسهام ، بالتالي ، في اعادة توجيه آداب المستعمرات القديمة توجيهها اسرع . ومن سمات الاستعمار البغيضة انه عزل المستعمرات على المستوى الثقافي ، ووجهها نحو ثقافة المستعمرين دون غيرها ، مقدما اياها على انها حقيقة لا تقبل المناقشة ، والثقافة الوحيدة الجديرة بالدراسة ، ولقد استفاد المستعمرون من آثار توجيه شعوب آسيا وافريقيا توجيهها ثقافيا من جانب واحد ، لكي ينمو العدوان الثقافي على نهضتها . والمعروف ان المستعمرين الجدد يستفيدون من الصعاب الموضوعية الناجمة عن بناء حياة جديدة ليشيعوا عدم الثقة والياس ، وانهم يستغلون نظرية التشبث بالرأي القومي والنزعة الحديثة المنطرفة التي تزعم الوقوف فوق الامم ، للهيمنة على افئدة المثقفين الافروآسيويين .

ان العدوان الثقافي للاستعمار الجديد مدغم - بطريقة تلقائية او مقصودة - بالقوى التي لا تعترف بغايلية الادب والفن كموامل تشكل ضمير الجمهور ، تلك العوامل التي تسعى الى احلال اوامر توردية متطرفة قديمة محل الكلمة الزيفة .

وقد شعر دائما كتاب الطليعة في العالم وعلى مر الاجيال بقوة الادب الحقيقي في النضال من اجل وصول الانسان الى الكمال وتحسين ظروف حياته ، وادركوا ايضا ان على الادب ان يكون مجسدا ووطنيا حتى يتكسب معنى عاليا لان العزلة المفروضة تعزل السياق الادبي والعزلة المقصودة تقتل العمل الادبي . كل هذه الافكار تأخذ اهمية خاصة في عصرنا حيث ان من اهم المهام التي تقع على عاتق البشرية اليوم ان تعمل على ان يندثر التفاوت بين طبقات الثقافة ، ذلك التفاوت الذي اوجده الاستعمار والذي يقف حجر عثرة في سبيل خلق عالم جديد لا يوجد فيه بؤس ولا حروب . وتكسب ايضا هذه الافكار معنى جديدا لاننا نعيش في عالم ترتبط اجزأه ارتباطا وثيقا بعضها ببعض يرجع الى وحدة المصير وطرق الاتصال المادية . ان الرغبة في الاتصالات في عالمنا هذا قد اصبحت حاجة حيوية بالنسبة للشعوب .

والاسهل بالنسبة الى اختيار الامثلة من تاريخ وطني ادبي . ان هذا التاريخ لا يرتبط بجنسيات ولغات مختلفة فحسب . لقد وجدت بعض هذه الاداب منذ خمسين عاما وكان مستوى نموها يختلف الى درجة جعلت من مسألة دمجها في وحدة تسمى بالادب السوفيتي مشكلة غاية في الصعوبة . فمثلا الادب الالمني يرجع تاريخه الى الالف السنين . اما « التشكت » فكانوا لا يعرفون قبل الثورة ما الذي تمثله العلامات التي تخط على الورق .

واذا كانت الشعوب التي لم تعرف من قبل الاجدييات لها الان آداب متقدمة ، فهذا يرجع الى ان الدولة الاشتراكية حققت لا محو الامية فحسب بل التفاعل الوثيق بين الاداب المتطورة والجديدة . اكثر من ذلك ، قامت الاداب الجديدة بالاطلاع على احسن ما انتجه الادب العالمي عن طريق الترجمة الروسية في بادئ الامر ثم قراءة النصوص الاصلية .

ان عمليات مهائلة تجري حاليا في الاداب الافريقية الآسيوية : اعادة العلاقات الثقافية القديمة وتوسيعها ، نمو انواع ادبية جديدة ، ايضاح النماذج الجديدة للغة الادبية . وتساهم بدون شك العلاقات الوثيقة بين الاداب - وهذا الذي تساعد عليه وتحركه المجلة الادبية - في تعجيل وتحسين سير هذه العملية . وهذا وضع تحتمه الحياة نفسها : التفيرات الهائلة التي تجري في بلاد آسيا وافريقيا التي اختارت طريق النمو المستقل توقف في هذه الشعوب اهتماما عظيما بالثقافة . وعلينا نحن الكتاب ان نعرف ما اذا كنا سنستطيع ان نعرف جموع الشعب بالثقافة الحقيقية ، المتكررة ، السامية او ان نتركهم يلقون ثقافة بديلة يتفضل عليهم بها الاستعمار الجديد .

ومن الواضح ان تكوين فكرة جديدة عن العالم لدى المواطنين في البلاد المتحررة في آسيا وافريقيا شرط اساسي للتقدم الاجتماعي في القارئ . واذا رجعنا الى التجربة والممارسة في بلادنا فاني اؤكد ان المجلات الادبية بالذات هي التي تلعب دورا اساسيا في نشأة الادب الواقعي وتنميته ويرتبط هذا الادب بالحياة وبالعكس هذه الحياة بكل ما فيها من نزاهة وتعقيدات .

واذا اردنا ان نرسم صورة واضحة حقيقية لمعاصرنا بين مناضل وبناء نجد ان الادب الواقعي يقرب ترجمة حياة الرجل و ترجمة حياة العصر ويثبت الثقة في الحياة ويقدم تتابع الازمنة . ويساهم هذا النوع من الادب في اعداد عالم نشط يخالف الخضوع المتشائم لارادة القدر .

وللادب في عصرنا مهام لها اهمية كبرى من بينها المهمة الحضارية باوسع معاني هذه الكلمة . ان تدريب الرجل على العيش في هذا العالم الواسع وتنشئته على روح الوطنية المزوجة باحترام كرامة الشعوب كلها وخلق نظام حديث للنهيم على اساس افضل ما وصلت اليه تجربة الانسانية الجماعية وخلق مقاييس اخلاقية عالية . كل ذلك في رأيي هو واجب ادب الطليعة اليوم . ويرتبط نجاح النضال ضد آثار الاستعمار وثقافة الاستعمار الجديد بكل اشكاله بالطريقة التي نؤدي بها واجبنا .

اصدقائي الاعزاء .

لقد جئنا الى هنا مدفوعين برغبة صادقة لاجزاء وسائل اكثر فاعلية تخدم شعوبنا . وتشكل هذه الرغبة اكثر الاسس صلابة لوحدتنا . والوحدة تخلق القوة وهذا شيء لا يحتاج الى اثبات .

وفي ختام هذه الكلمة اود ان اذكر كلمات ناظم حكمت العظيم :

ان انا لم اشعل نارا

ان انت لم تشعل نارا

ان نحن لم تشعل نارا

انا تولي سوفرونوف

رئيس تحرير « اغانيوك » السوفياتية